الآداب | مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
للدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

العدد الثامن 8
ديسمبر 2020

الإشاريات في سورة مريم

دراسة تداولية

إفهام عبد الحافظ القباطي*

am.hmood2020@gmail.com

الملخص:

سيقوم هذا البحث بتحديد الإشاريات وتوضيح أهميتها في تحليل الخطاب وإظهار المقاصد الحقيقية، وقد اختارت الدراسة سورة مريم -عليها السلام- أنموذجًا؛ كونها غنية بعناصر إشارية متنوعة وفق سياقات نصية متنوعة ومقامات مختلفة، وهذا ما أعطاها أهميتها التداولية في استراتيجية الخطاب. وقد اقتضت الدارسة تقسيم البحث إلى مطلبين، تسبقهما مقدمة وتتبعهما خاتمة، وجاء المطلب الأول دراسة نظرية للعناصر الإشارية، وجاء المطلب الثاني دراسة تطبيقية لها في سورة مريم. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: إن العناصر الإشارية في سورة مريم متنوعة وساعد تحديدها على ترتيب الأحداث وإبراز الجوانب الإعجازية وفهم الخطاب وأخذ العظة والعبرة منه، كما أدت الإشاريات إلى انسجام النص القرآني وترابطه وتماسكه، وقد عمد المتكلم إلى استخدام هذه العناصر وفق استراتيجية تضامنية لبلوغ قصده وتحقيق هدفه.

الكلمات المفتاحية: سورة مريم؛ تداولية؛ إشاريات؛ سياق؛ نص.

---

* طالبة دكتوراه لغويات - قسم اللغة العربية - كلية اللغات - جامعة صنعاء. ومدرسة في قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة ذمار- الجمهورية اليمنية.

الآداب مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

Refrences in Surat Mariam

A Delibrative Study

Efham Abdulhafed Al-Qubati *

Email: am.hmood2020@gmail.com

Abstract:

This research aims to identify signs, their importance and their real purpose in analyzing the discourse. The study chooses Surat Maryam - peace be upon her - as an application model. Being rich in various indicative elements according to various textual contexts and different denominators, this gave it its deliberative importance in the speech strategy. This study is divided into two chapters, preceded by an introduction and followed by a conclusion. The first chapter studies the theory of indicative elements, and the second includes a practical study of the aim of the research in Surat Maryam. The research shows that the indicative elements in Surat Maryam are variable, and their identification helped to arrange the events, highlight the miraculous aspects, understand the speech, and take cues and lessons from it.

Keywords: Surat Maryam; Deliberative; Indications; Context text.

* PhD student of Linguistics - Department of Arabic Language - College of Languages - Sana'a University - Yemen, and a teacher in the Department of Arabic Language - College of Arts - Dhamar University – Republic of Yemen.

المقدمة:

يعد الخطاب القرآني مجالًا خصبًا لتطبيق النظرية التداولية، باعتباره يحمل دلالات ومقاصد لا يمكن كشف معانيها إلا من خلال السياق التداولي، مما يستدعي إعمال الفكر وإمعان النظر والتدبر والتأمل والأخذ بمعطيات الخطاب وقرائن الاستدلال. وقد اقتصرت الدراسة على الجانب الإشاري، الذي يعد من أهم الآليات اللغوية في التحليل التداولي، حيث يقتضي تحديد مدلولها معرفة السياقات المحيطة بعملية التلفظ. وقد تم اختيار سورة مريم – عليها السلام- مجالًا للتطبيق وقد تم تقسيم البحث إلى مطلبين؛ لتصل الفكرة بشكل أوضح وأسهل للقارئ.

ويتكون هذا البحث من الآتي:

المطلب الأول: تناولت فيه دراسة نظرية للعناصر الإشارية (عرضت مفهومها، وعلاقتها بالإحالة، وأنواعها).

المطلب الثاني: تناولت فيه الجانب التطبيقي للعناصر الإشارية بأنواعها المختلفة في سورة مريم.

سبب اختيار السورة:

إن هذه السورة متميزة بما تتضمنه من عناصر إشارية متنوعة وأحداث ومواقف إعجازية، تتطلب دراستها وإظهار أبعادها التداولية؛ سعيًا لفهم الخطاب والاستفادة منه.

أهمية البحث:

- جدة الموضوع وقلة الدراسات المتخصصة في هذا الجانب.
- فتح آفاق جديدة للباحثين للدراسة وفق نظام اللغة التداولي.

منهج البحث:

المنهج التداولي، من خلال تحليل المعنى في سياق الاستعمال ويكون فيه تحليل المعنى تحليلًا إجرائيًا وفق نظام اللغة التداولي القائم على الاهتمام بالعلاقات المتبادلة بين المتكلم والقارئ وتوضيح مقاصد المتكلم والكيفية التي يتلقاها السامع والتأثيرات التي خلفها الخطاب.

المطلب الاول: دراسة نظرية للعناصر الإشارية

الإشاريات:

تعد الإشاريات من أهم الآليات في التحليل التداولي، لما تقدمه من خدمة التواصل الكلامي؛ إذ كل ملفوظ يتكون من مرسل ومستقبل ومكان التلفظ وزمانه ويتحدد مرجع هذه القرائن بوجود المتكلمين في وضعية التواصل "فهي تسمى المعينات أو القرائن السياقية وبتعبير آخر فالمعينات مجموعة من العناصر اللسانية التي تحيل إلى السياق المكاني والزماني لعملية التلفظ الجارية بين المتكلمين." [1]

والإشاريات "عبارة عن وحدات معجمية (أسماء مفردة ومايضارعها من المركبات) وتشمل كل مايشير إلى ذات أو موقع أو زمن إشارة وتمثل العناصر الإشارية في جملة الذوات التي تكوّن العناصر الأساسية الدنيا في عالم الخطاب وتتصل هذه الذوات مباشرة بالمقام دون توسط عناصر إحالية أخرى"[2] فالخطاب يتجسد باللغة في مستوياتها كافة والكلمات جزء من نظام اللغة فتحيل كل كلمة إلى مدلول معين، إلا إن بعضًا منها يوجد في المعجم الذهني دون ارتباطه بمدلول ثابت فلا يتضح مدلوله إلا من خلال التلفظ بالخطاب في سياق معين[3].وقد اهتم علماء التداولية بها واعتبروا "أن النص يتألف من عدد من العناصر تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمانية والروابط الإحالية في تحقيقها"[4].

كما قد سميت الإشاريات بالمبهمات نظرًا لعدم القدرة على تحديد مدلولها في ذاتها، ولكن تعتمد اعتمادا كبيرًا على السياق إذ "يلفت (لفنسون) إلى أن التعبيرات الإشارية تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وضعت أساسًا للتواصل المباشر بين الناس وجهًا لوجه"[5] وتظهر أهميتها حين يغيب عنا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم.

فيقال لهذه العناصر مبهمات؛ لأنها تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء فتلبس على المخاطب فلم يدرِي إلى أيُها تشير فكانت مبهمة؛ لذلك لزمها البيان عند الإلباس[6]. فالإشاريات تنظم الفضاء انطلاقًا من نقطة مركزية هي الذات المتكلمة أو "الأنا" ويجري هذا التنظيم وفق عدد من المعايير أو المقولات، هي المسافة الفاصلة بين المتكلم أو المخاطب من جهة وبين المشار إليه من جهة أخرى، وينحصر أثر هذه العناصر في تعيين المراجع التي تشير إليها وهي بذلك تضبط المقام الإشاري[7]. ومن هنا كانت النظريات الدلالية الشكلية عاجزة عن معالجة هذه الإشاريات، وقد أفضى هذا إلى ظهور مايسمى (علم الدلالة المقامي)، حيث بذلت محاولات جادة لإدخال الجوانب السياقية في التفسير الدلالي، فأصبحت الإشاريات مجالًا مشتركًا بين علم الدلالة والتداولية[8]. ويمكن توضيح ذلك في الحوار الآتي:

- الطفل: ماهذا يا أبي؟
- الأب: أي شيء تقصد يا بني؟
- الطفل: هذا، هذا (مشيرًا بيده إلى الأمام)، ألا تفهم؟
- الأب: اذهب ومد يدك إليه.
- الطفل: ذاهبًا، مشيرًا بيده هذا، هذا. أرأيت الآن؟
- الأب: بلى رأيت، يابني، إنها ممحاة سبورة[9].

ونخلص من الخطاب السابق إلى الآتي:

- استخدام الطفل عناصر إشارية مختلفة.
- الإشاريات المستخدمة كانت مضبوطة نحويًا إلا أنها مبهمة دلاليًا.
- اشترك المتكلم والمخاطب في سياق التلفظ الذي أنتج فيه الخطاب، لتحديد مدلول الإشاريات[10].
- تم ضبط المقام الإشاري بالعودة إلى سياق الخطاب التداولي.

والاشاريات منها ظاهرة في الخطاب ومنها خفية الدلالة لا يصرح بها المرسل ويعتمد على الكفاءة التداولية للمتلقي في الوصول إليها "وهذا في الحقيقة الدور الذي يقوم به المتلقي خلال عملية التواصل فهو يقوم بإزالة الإبهام من النص بغية الوصول إلى تحديد الهدف الرئيسي من بنائه"[11].

فلا يقف أثر الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوز إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى وهي الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ به، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في استراتيجية الخطاب؛ وذلك لأن التلفظ يحدث من شخص له سمات معينة وفي مكان وزمان معين[12].

كما أطلق عليها المعينات: "وهي وحدات التلفظ ومؤشراته تساهم في تعيين فعل التلفظ إنجازًا وقولًا وفعلًا، كما تعنى بتحديد مرجع الوحدات اللغوية أثناء عملية التلفظ والتواصل وترتبط دائمًا بلحظات الخطاب أثناء فعل التلفظ، فالمعينات لها وظائف دلالية من خلال ارتباطها بالسياق المرجعي والمعنى الدلالي وتؤدي وظائف نفسية.

وهي قد تتخذ وظيفة بلاغية حينما تتجاوز التعيين والتقرير إلى الإيحاء والتضمين وذلك عبر عملية الانزياح والخرق وانتهاك المعيار التقعيدي من خلال تصادم الوحدات اللغوية وتوترها"[13].

كما يشترط في هذه العناصر الصدق، بمعنى لها وجود حقيقي في الواقع "إن كل هذه العناصر أي الإشاريات عند الاستعمال والألفاظ المبهمة تطرح قضية الإحالة وصلة اللغة بما تعنيه عند الاستعمال، إذ صدق جملة يرتبط بإمكان مراقبة صدقها بوجود حالة من الأشياء في العالم، أي وجود حالة أشياء في الكون تثبت صدق الجملة المعنية بالتحليل أو تنفيه"[14].

وتتداخل الإشاريات مع الإحالة؛ لذا وجب علينا أن نبين جوانب الاتفاق والاختلاف بينهما:

الإشاريات والإحالة:

يشير الأزهر الزناد إلى أن تسمية العناصر الإحالية تطلق على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام، ما وبين ماهو مذكور بعد ذلك في مقام آخر، وهي بذلك تتميز بالإحالة على المدى البعيد"[15].

والإحالة فعل تداولي؛ لأنها ترتبط بموقف تواصلي معين، فهي تتعلق بمخزون المخاطب كما يتصوره المتكلم أثناء التخاطب[16].

فالإحاليات اسم يشتغل على المستوى النصي الخطابي، زيادة على اشتغاله في المستوى اللساني الجملي، فهي تؤدي أثرًا أساسيًا في اتساق النص وانسجامه وعلى المستوى الصوتي تكون آلية نصية لإدراج وجهات النظر المختلفة عبر إسنادها إلى الأصوات التي يستحضرها المتكلم في خطابه[17].

فهي تقوم على مبدأ التماثل بين ماسبق ذكره في مقام ما، وبين ماهو مذكور بعد ذلك في مقام آخر والإحالة أنواع.

أنواع الإحالة:

إحالة داخل النص أو داخل اللغة (إحالة داخلية):

وهي إحالة على العناصر اللغوية في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة، فهي إحالة نصية وهذه تنقسم بدورها إلى:

أ- **إحالة على السابق أو الإحالة بالعودة (إحالة قبلية):** وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به.

ب- **إحالة على اللاحق (إحالة بعدية):** وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها ومن ذلك ضمير الشأن في العربية.

ج- **إحالة على ماهو خارج للغة (إحالة خارجية):** وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم[18].

وتقابل الإحاليات غالبًا تضاديًا مع الإشاريات، حيث يُعرف الإحالي بأنه يُرجع إلى السياق اللغوي، في حين يُرجع العنصر الإشاري إلى السياق المقامي أي المعطيات المدركة المتوافرة في سياق التواصل وتشترك الإحالة والإشاريات في وظيفة الإحالة والإرجاع[19].

ويمكن توضيح ذلك من خلال المخطط الآتي[20]:

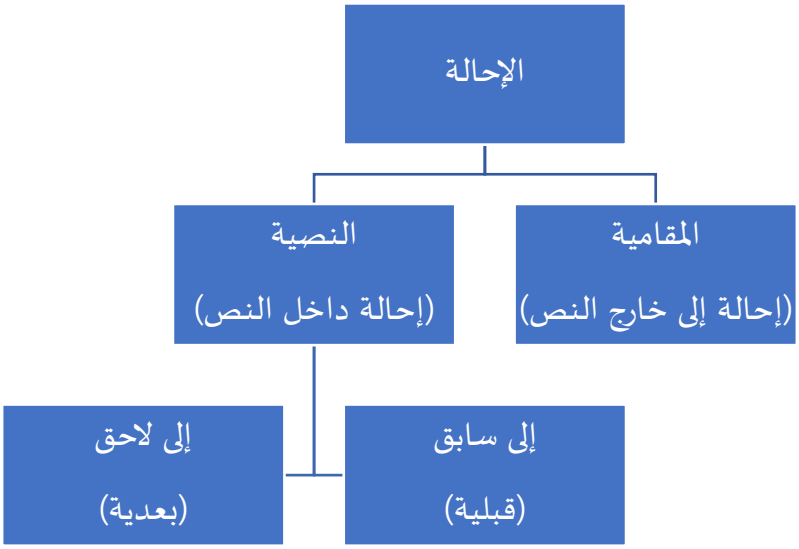

ويذكر (هاليدي ورقية حسن) عددا من الإحاليات لغير مذكور في الاستعمال المقبول تستعمل فيها الكنائيات استعمالًا عرفيًا دون أن ترتبط بمحتوى مفهومي بعينه فضمير المتكلم

والمخاطب بطبيعتهما لا يحيلان إلى مذكور سابق ويتطلب استعمالهما معرفة سابقة بالهوية بالنسبة لطرفي الاتصال وإن كان ذلك يتم بصورة مباشرة في الحديث أكثر مما يتم في الكتابة.[21]

أما الإشارة وفقًا ل (جون لاينز): هي العلاقة التي بين تعبير ما وما يشير إليه في المناسبات المعينة التي يقال فيها، أي إن الإشارة مرتبطة بالقولة المعينة التي يقال فيها فدلالتها إذن دلالة خاصة وليست عامة، بمعنى أنها مقيدة بسياق القول، في حين أن الإحالة هي العلاقة التي تصل بين التعبيرات اللغوية والعالم الخارجي بصرف النظر عن السياق الخاص[22].

ومن أمثلة الفرق بين الإشارة والإحالة ما تدل عليه التعبيرات الآتية:-

سيد المرسلين وأفضل الكائنات وخاتم النبيين. فإحالاتها هي معانيها الوضعية بغض النظر عن المقصود بها، أما إشاراتها فتعني تأويلها بتوضيح المقصود بها على وجه التحديد وهو سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فالمحال عليه إذن هو شخص موصوف بأنه سيد جميع الرسل، وأنه أفضل المخلوقات وأنه لا نبي بعده دون الوقوف على المراد منه تحديدًا [23].

الإشارة	الإحالة
الاستعمال	الوضع
الكلام	اللغة
القصد	المعنى
القولة	الجملة
السياق	اللفظ

فالإشارة: هي علاقة بين اللفظ وما يشير إليه في المقام المستخدم فيه.

والإحالة: هي علاقة اللفظ بالمفهوم العام الذي يحيل عليه في ذهن المخاطب بغض النظر عن المقام أو السياق الذي ورد فيه[24]. وتتفرع وسائل التماسك الإحالية إلى: الضمائر، أسماء الإشارة، الموصول، وأدوات المقارنة (التشبيه وكلمات المقارنة (أكثر وأقل)[25]. فالعنصر الإشاري ينظر إليه على أنه قسيم العنصر الإحالي؛ إذ لا يمكن أن يكون للأخير قيمة دون الأول، فالعنصر الإشاري هو الذي يبينه ويوضحه ويزيل الإبهام ويجب أن يتقدم أو يتأخر حتى يمكن الإحالة إليه[26].

نخلص إلى أن الإحالة والإشاريات يشكلان أهمية في ترابط النص وتماسكه وانسجامه ويتدخلان فيما بينهما غير أن الإحاليات تشمل ظاهر النص وخارجه، حيث تشمل السياق اللغوي والسياق المقامي، في حين الإشاريات عناصر لغوية تعتمد على مراجع خارجية غير محددة؛ لذلك فهي بحاجة إلى السياق لتحديد مرجعها وضبط المقام الإشاري، وهي تتطابق مع الإحاليات المقامية وتعد أحد أدواتها.

وقد أجمع أغلب الباحثين على أن الإشاريات خمسة أنواع (الإشاريات الشخصية، الإشاريات الزمانية، الإشاريات المكانية، الإشاريات الاجتماعية، أسماء الإشارة).

1- الإشاريات الشخصية

وهي بشكل عام الإشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب التداولي[27].

فيتجلى البعد التداولي للإشاريات من خلال اعتمادها في تحديد مرجعها من العودة إلى سياق الاستعمال اللغوي ومقاماته.

والضمائر عند "بنفست" أشكال فارغة من دون مضمون، ما دامت لم تدخل في السياق، لكن هذه الأشكال تجد لنفسها محتوى انطلاقًا من لحظة تلفظ الشخص بها، في مقام محدد، فالضمير (أنا) و (أنت) لهما دلالة في ذاتيهما على المتكلم أو المخاطب والسياق هو الذي يدل على معرفة من المتكلم؟ ومن المخاطب؟ أما ضمائر الغائب فتدخل في الإشاريات إذا لم يُعرف مرجعها من السياق اللغوي وعندئذٍ يتكفل السياق التداولي بمعرفة إشارة هذه الضمائر إلى مرجعها[28].

وقد وضع النحاة الأغريق واللاتينيون تسمية الضمائر من خلال إجراء الاسم الذي يطلق على (الشخصية المسرحية) أو (الدور المسرحي) إجراءً مجازيًا يؤدي فيه المتكلم الدور الرئيسي ويؤدي السامع دورًا آخر يرتبط بذلك الدور الأول ثم جرت ترجمة هذا المصطلح إلى اللاتينيه باستعمال لفظ (personan) وهو يعني (القناع) وغير بعيد من هذا إجراء لفظ (الضمير) عند النحاة العرب على الوحدات الدالة على الشخص، وهو يتعلق بمفهوم الخفاء والدقة، وكذلك بالباطن[29].

ومن خلال الاطلاع على المدونة العربية وجدنا (سيبويه) يتحدث في (الكتاب) عن الضمائر بقوله: "وإنما صار الإضمار معرفة؛ لأنك إنما تضمر اسمًا بعدما تعلم أن من يُحدَّث، قد عرف من تعني وما تعني وأنك تريد شيئًا يعلمه"[30]. فهو يقرر بأنها أسماء مبهمة وأنها تحيل إلى مرجع خارجي تحدده كفاءة المتلقي التداولية.

ويؤكد هذا قول المبرد "وإنما صار الضمير معرفة؛ لأنك لا تضمره إلا بعد ما يعرفه السامع وتدري إلى من يرجع هذا الضمير"[31]. كما تطرق السكاكي في حديثه عن الضمائر إلى أقسامها بقوله: اعلم أن الضمير عبارة عن الاسم المتضمن الإشارة إلى المتكلم، أو إلى المخاطب، أو إلى غيرهما، بعد سبق ذكره، وينقسم الضمير إلى قسمين، من حيث الوضع: قسم لا يسوغ الابتداء به ويسمى متصلًا وقسم يسوغ فيه ذلك ويسمى منفصلًا[32].

فقد وضح بأن الإضمار يحيل إلى مرجع معين في ذهن المتلقي. وتتفرع الضمائر في العربية حسب الحضور في المقام أو الغياب إلى فرعين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغيبة، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم، وهو مركز المقام الإشاري،وهو الباث،وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه وهو المستقبل[33].

وقد يختلف استعمال هذه الضمائر حسب عدة معايير، مثل: معيار السن والبيئة وغير ذلك، كما قد يختلف هذا التصنيف بين سكان المدن وسكان القرى وذلك نتيجة لنظرة كل منهم إلى الآخر، ويتجاوز غرض الإسناد إلى هذه الأدوات معيار الوظيفة النحوية البحتة إلى المعيار التداولي[34]، وهذا يتبين في بعض المواضع التي يتعمد فيها المتكلم استعمال ضمير الجمع لمخاطبة المفرد أو العكس.

الضمائر:

ضمائر المتكلم تحيل على المتكلم ولا يمكن للخطاب أن يتجسد إلا من خلاله "وهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه، باعتماده استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنيًا والاستعداد له، بما في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة، وبما يضمن تحقيق المنفعة الذاتية، بتوظيف كفاءته للنجاح في نقل أفكاره"[35].

وتعد ضمائر المتكلم " أعرف المضمرات؛ لأنه لا يوهمك غيره ثم المخاطب والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة وأضعفها تعريفًا كناية الغائب؛ لأنه يكون كناية عن معرفة ونكرة حتى قال بعض النحويين: كناية النكرة نكرة"[36].

كما تعد ضمائر المتكلم والمخاطب أوضح العناصر الإشارية؛ "لأن مرجعها يعتمد اعتمادًا تامًا على السياق الذي تستخدم فيه"[37].

فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق ف(أنا) ليس له دلالة في ذاته ولكن ينسب إلى المتحدث ويجسد هذا الضمير وظيفة الخطاب الخاصة، إذ لا يعد أن يكون الضمير شكلًا فارغًا واستخدامه مقترن بالسياق الذي يجري فيه الكلام، أي استحالة فهم معنى الضمير إلا حال استخدامه المرجعي. [38] وإذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق، أمكن التميز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب وهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي[39].

وعادة ما تتعاون في النص الضمائر مع الأسماء المذكورة، وتشكل معًا شبكة إسمية إحالية، أو ضفيرة إسمية إحالية، وحين يضم نص ما عدة شبكات إسمية فإن واحدة منها في الغالب هي موضوع النص[40]، وقد توصلت "آن روبول" إلى نتائج متعلقة بالضمير هي:

يمكن تعيين الضمير الشخص -المتكلم والمخاطب- مباشرة من خلال دوره في التواصل، في حين لا يُعيَّن ضمير الغائب فهو يمثل عددًا لامتناهيًا من الأفراد.

- قد يحل ضمير المتكلم محل ضمير المخاطب والعكس صحيح أثناء التخاطب.
- يُعتبر ضمير الغائب الضمير الوحيد الذي يمكن أن يستعمل في الدلالة على الجوامد.

وعليه فإن ضمائر المتكلم والمخاطب لا يمكن أن ترد لغير العاقل، أما ضمائر الغائب فتستخدم للدلالة على الشخوص وللجوامد أيضًا[41].

2- الإشاريات الزمانية

تعد الإشاريات الزمانية من أبرز العناصر الإشارية، التي تساهم في معرفة قصد المتكلم، وفهم الخطاب "وهي كلمات تدل على زمان يحدده السياق، بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام[42].

ولهذا يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطًا قويًا في المرحلة الأولى، ونربط كذلك بين الزمن والفاعل لأهميته الكبرى في المرحلة الثانية[43].

فلا بد من معرفة زمان التلفظ لتأويل الخطاب تأويلًا صحيحًا، والوقوف على مقاصد المتكلم الحقيقية،ولإدراك أهمية زمان التلفظ،وأثره في تأويل الخطاب، فلابد من الإحاطة بعملية تحديد المرجع الحقيقي للزمان والمكان من خلال السياق الاستعمالي للملفوظ.

3- الإشاريات المكانية

تساهم الإشاريات المكانية في فهم المعنى، والوصول إلى مقاصد المتكلم، وتأويل الخطاب تأويلًا صحيحًا "وهي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم،أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع،ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربًا أو بعدًا أو جهة"[45].

كما أن تحديد المرجع المكاني مرتكز على تداولية الخطاب، وهو ما يؤكد أهمية استعماله لمعرفة مواقع الأشياء، ويتضح ذلك في الخطاب الآتي:

تقع الجامعة على يميني.

فلا يمكن تحديد قصد المتكلم الحقيقي إلا بتحديد مكانه، وإتجاهه أثناء السياق الاستعمالي للملفوظ[46].

4- الإشاريات الاجتماعية

وهي إشاريات من خلالها يتم تحديد العلاقة بين طرفي الخطاب: "وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية، أو علاقة ألفة ومودة"[47]،إذ تعتمد على السياق الاجتماعي الذي يحدد العلاقات المختلفة بين الأفراد المنتمين إلى مجتمع واحد، التي تتضح من خلال الحوار في الخطاب.

"ويشكل التواصل في هذا المجال الأرضية الأساسية التي يبني عليها الإنسان الممارس لعملية التلفظ البنية الكلامية؛ التي يستعملها لربط العلاقات مع بني جنسه، وللإشارة أن مسألة اللغة ومكوناتها تعتمد أساسًا على الدينامية التواضعية، التي تسري في المجتمعات فإذا أحسن استعمالها، فإنها تساهم في إنجاح التبادل الكلامي بين المتخاطبين"[48].

5- أسماء الإشارة

تعد أسماء الإشارة من العناصر الإشارية التي تحتاج إلى السياق في تحديد مرجعها، إذ إننا لا نستطيع تحديد المقصود من الخطاب إلا إذا تم تحديد المرجع الذي تشير إليه من خلال الاستعمال التواصلي "وهي عبارة عن وحدات معجمية (أسماء مفردة ومايضارعها من المركبات، وتشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن إشارة أخرى سابقة أو لا حقة، وهي ترتبط بالحقل الإشاري ارتباطًا آنيا محدودًا مباشرًا، لا يتجاوز ملابسات التلفظ التي يتقاسمها طرفا التواصل،وهي في ذلك تقابل العناصر الإحالية التي ترتبط بالسابق وما يتعلق به من ملابسات"[49].

وقد عد النحاة أسماء الإشارة والموصولة من المبهمات، كما ورد عن سيبويه "وأما الأسماء المبهمة فنحو: هذا وهذه وهذان وهاتان وهؤلاء وذلك وتلك وذانك وتانك وأولئك وذلك وإنما صارت معرفة لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمّته"[50].

وأشار المبرد في (المقتضب) إلى وقوعها على كل شيء فهي لا تخص شيئًا دون شيء[51]، وابن يعيش يشير إلى أنها ضرب من المبهم[52].

وأسماء الإشارة تشكل أهمية كبيرة في تماسك النص وترابطه[53]، وتستعمل استعمال الروابط، فتنقل معنى ما يسبقه إلى معنى ما يلحقه ويكون بديلًا عن لفظة أو جملة أو نص وتكمن وظيفة الإحالة الإشارية في عقد صلة وثيقة بين أجزاء النص[54].

وبإمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل[55].

أركان الإشارة:

- المشير: يمثله المتكلم.
- المشار إليه: هو محور الحديث.
- المشار به: وهي الأداة[56].

ويعد اسم الإشارة " ضميرًا قويًا وعنصرًا فاعلًا؛ إذ يمكن استخدامه مكثفًا؛ أي مشيرًا إلى عدد كبير من الأحداث السابقة له، رغبة في الاختصار واجتنابًا للتكرار"[57].

وقد يكون الأساس التداولي لها بُعدًا نفسيًا، فإن كلمة مثل "ذلك" لا تمتلك معنى دلاليًا ثابتًا ولكنها تشبع بمعنى ما يتغير بتغير موضع التلفظ في سياق التكلم[58].

وبعد هذه النظرة الموجزة حول الإشاريات نحاول بيان أنواعها وتطبيقها على سورة مريم.

المطلب الثاني: الجانب التطبيقي

أولًا: الإشاريات الشخصية في سورة مريم

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ مريم: ٤٦.

جاءت الآية متضمنة عنصرًا إشاريًا في قوله تعالى (أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ) وبالرجوع إلى سياق الخطاب التداولي يظهر مقام الدعوة، حيث يظهر السياق دعوة إبراهيم – عليه السلام- لأبيه باتباعه وترك عبادة الأصنام، حيث ورد الضمير " أَنْتَ " في سياق حواري بين المتكلم (آزر) والمتلقي (إبراهيم – عليه السلام-).

تبرز لنا دلالة العنصر الإشاري " أَنْتَ" الذي تجاوز البعد اللغوي فلو حُذف العنصر الإشاري لبقي القول سليمًا لغويًا، غير أن المتكلم استخدمه لغرض تداولي يكمن في التحقير

والتصغير من شأن إبراهيم -عليه السلام- كما تُظِهر شدة إعراض المتكلم والرفض والإنكار لما يدعو إليه.

كما حمل دلالة إيحائية تظهر لنا حالة الغضب والانفعال الشديد والإعراض عن الدعوة، تجلت في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أكدتها ردة فعل المتلقي بمحاولته عليه السلام تلطيف الجو والتهدئة من روع أبيه وانفعاله، في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ مريم: ٤٧، وقد تضمن الحوار قوة عاطفية غرضها إحداث شيء من القبول في نفس أبيه وكسر حالة الإنفعال وإعطائه فرصة من التفكير والتأني في اتخاذ القرار وقد أظهر الخطاب أسلوب الدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة والصبر عليها، وما على المؤمنين إلا السير على هداهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ الأنعام: ٩٠.

ويمكن تبيين ذلك في المخطط الآتي:

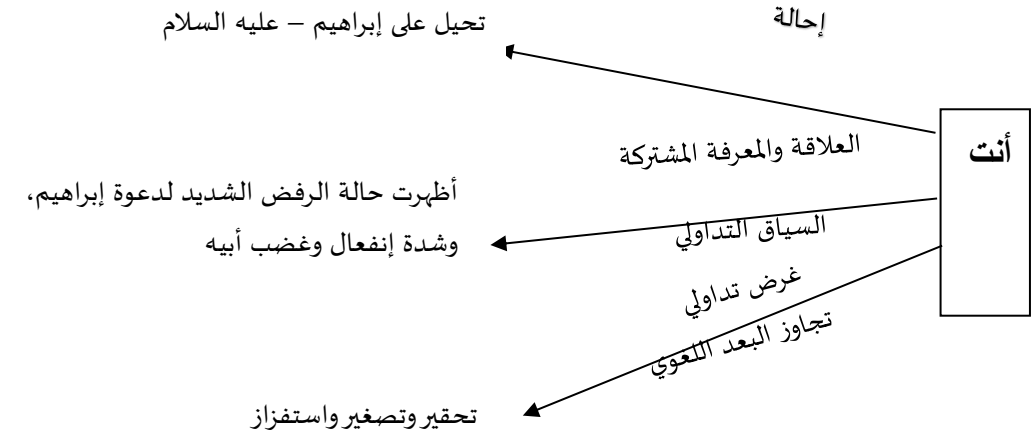

ومن ذلك أيضًا، قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ مريم:٦٤.

يأتي ضمير المتكلم "نحن" في قوله ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ فيه إحالة بعدية، يحيل على الملائكة، غير أنه تجاوز هذه الوظيفة المرجعية النحوية، وحمل بُعدًا تداوليًا حيث فيه إشارة ضمنية تؤكد إحاطة علم الله بكل أمور الكون ومن خلاله تصدر الأوامر.

يعقبه ضمير الغائب في قوله: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ فيه إضافة لما قبله بحصره وإحاطة علمه بجميع أعمال الملائكة وما يختص بشؤونهم، ويتنزه الله -سبحانه وتعالى- أن ينام أو يسهى أو يكون نسيا.

تعقبه في سياق الآيات جملة إخبارية، في قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مريم: ٦٥؛ لتؤكد جميعها أحقية الله في العبادة دون سواه، فقد تفرد بالملك فليس له شريك.

أكدت ذلك ضمائر الغائب في قوله تعالى ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ويأتي ذلك ليكون حجة قوية تبطل كل الادعاءات المشككة بقدرة الله في إعادة خلق الإنسان، كما ورد في سياق الآيات، بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ مريم: ٦٦.

يعقبه في سياق الآيات سلسلة من ضمائر المتكلم في الأفعال الكلامية "لنحشرنهم، لنحضرنهم، لننزعن، لنحن أعلم، ننجي" في مقام التهديد والوعيد، وتأتي بصيغة الجمع لغرض تداولي، فيه تعظيم لعلم الله وقدرته على كل شيء، وتظهر ضرورة التنبه من مغبة التساهل والتغافل والتشكيك بقدرة الله.

ومن ذلك أيضًا، قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا} مريم: ٧٧.

وظف المتكلم العنصر الإشاري الدال على المفرد الغائب في قوله (كَفَرَ)، لغرض تداولي فيه إشارة لكل من يبتغي العزة من وراء المال والأولاد ويكفر بما أنزل الله، حيث توعده بمزيد من العذاب في النار.

ويأتي في سياق الآيات، قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ مريم: ٨٠، يؤكد بأن العزة بيد الله، سيؤتيه ما يشاء ثم يرثها منه، له ميراث السموات والأرض ويأتيه يوم القيامة فردًا.

يعقبه في سياق الآيات ضمير الغائب المتصل، في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ مريم: ٨١.

فقد وظف المتكلم العنصر الإشاري، ليحيل على من يبتغي العزة من وراء الآلهة.

مؤكدًا في سياق الآيات بأنهم سيكفرون بعبادتهم ويشهدون عليهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ مريم: ٨٢.

يعقبه في سياق الآيات، قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ مريم: ٩٧، حيث يحيل ضمير الغائب في قوله (يَسَّرْنَاهُ) إلى القرآن الكريم، وقد تدخل فيه البعد التداولي، إذ فيه إشارة إلى أن القرآن الكريم بشرى للمتقين وينذر به المكذبين الظالمين، حتى لا تكون لهم حجة بعد الرسل.

ثانيا: الإشاريات الزمانية في سورة مريم

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ مريم: ٢٨. تضمنت الآية عنصر إشاري، فمن خلال السياق يظهر مقام الإخبار عن أنباء الأمم السابقة وحقيقة عيسى -عليه السلام-.

فقد احتوت الآية إشارة زمانية ضمنية فيها استعراض لسيرة مريم ونسبها ومكانتها في قومها وأظهرت شدة الصدمة والتعجب والاستغراب للقوم منكرين ما رأوه منها؛ لتأتي هذه الشهادة لمريم من قومها حجة قوية تبطل كل الافتراءات التي تطعن في عفتها وطهرها.

يلها من خلال سياق الآيات كلام عيسى لقومه، وهو في المهد صبيًا حجة بالغة تجعله بنفسه معجزة من الله، فخلقه ليس كخلق البشر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران: ٥٩.

يعقبها اسم الإشارة "ذَلِكَ" في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ مريم:٣٤.

استعمل المتكلم اسم الإشارة "ذَلِكَ" ليحيل على مرجع سابق (إحالة قبلية) فيه إشارة إلى حقيقة عيسى، وقد تجاوز هذا البعد اللغوي وحمل بُعدًا تداوليًا غرضه التأكيد والتنبيه من الله للرسول والمؤمنين وكل من يشمله الخطاب بالأخذ بقول الحق وإبطال كل الأكاذيب والافتراءات التي تدَّعي غير ذلك.

يتبعها من خلال السياق قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ مريم: ٣٦، مسبوقة بحرف عطف (و) فيها إشارة زمنية ضمنية تظهر الدعوة الحقيقية لعيسى ابن مريم لقومه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ المائدة: ١١٦ – ١١٧، وفيها تأكيد بأن هذا هو الصراط المستقيم وما دعى إليه رسل الله من قبل ومن بعد، وإبطال ما يدَّعون على الله الكذب وما يفترون.

وظهر استخدام المتكلم -الله جل وعلا- لعناصر إشارية مختلفة وحجج بالغة وتوظيفها توظيفًا دقيقًا لإظهار حقيقة عيسى – عليه السلام – ودحض كل الافتراءات والأكاذيب من خلال استراتيجية تخاطبية متكاملة.

وبالتالي ساعد دراسة الخطاب تداوليًا من خلال السياق والمقام إظهار المقاصد الحقيقية للمتكلم وفهم الخطاب.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ مريم: ٣٧، تتضمن الآية عنصرًا إشاريًا زمانيًا، يحيل على يوم القيامة، غير أن هذا العنصر تجاوز المرجع الزماني وحمل أبعادًا تداولية، إذ تأتي الإشارة الزمانية في مقام التحذير والتنبيه، حيث أظهرت تصوير هول المشهد، وكأنه يسمع أحداثه ويرى مشاهده، ليؤكد فيه اقتراب يوم الحساب.

كما أكد ذلك قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ مظهرًا حالة التعجب من اقتراب يوم الحساب والظالمين في ضلالٍ مبين.

يعقبها إشارة زمانية، في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مريم:٣٩، حيث تعدت الإشارة الزمانية (يوم) المرجع الزماني إلى دلالة جديدة، تولدت بتظافر الأبعاد اللغوية والسياقية، إذ فيها تحذير وتنبيه من خطورة الغفلة والاغترار بالحياة الدنيا والبعد عن الله، فيلقاهم الله وهم على ذلك وحينها لا ينفع الندم والحسرة.

يعقبها في سياق الآيات ضمير المتكلم﴿نَحْنُ} في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ مريم:٤٠، وقد تجاوز البعد اللغوي وحمل بعدًا تداوليًا، إذ فيه تعظيم لشأن الله وقدرته على إعادة الخلق وإرجاعهم إليه للحساب.

ثالثًا: الإشاريات المكانية في سورة مريم

من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ مريم: ١٦، تضم الآية عنصرًا إشاريًا يحيل على مكان الخطاب، بقوله ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ فمن خلال السياق

يظهر مقام الإخبار، حيث بدأ المتكلم خطابه بالإشارة المكانية وحمَّلها بُعدًا تداوليًا يكمن في التأكيد بأن الله هو الذي هيأ الأسباب. إذ اتجهت إلى مكان لم يرها فيه أحد، لما جاء في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم: ١٧؛ ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

يعقبها إشارة مكانية أخرى، بقوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ مريم: ٢٢. وقد سُبقت بالفاء التي أفادت التعقيب والسببية؛ للتأكيد بأن حمله لم يكن كبقية البشر بل مجرد أن حملت به اتجهت مكانًا أبعد كما حددت ذلك الإشارة المكانية ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾. يعقبها من خلال سياق الآيات إشارة مكانية بقوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ مريم: ٢٤، تحمل بُعدًا تداوليًا تجاوز البعد اللغوي يكمن في التأكيد بأن عيسى -عليه السلام- معجزة بنفسه حيث ناداها من تحتها؛ هذا بذاته يجعلها تطمئن ويهدئ من روعها، كما أكد لها بأن ولادته آية من الله؛ فلن تظهر عليها أعراض المخاض كبقية النساء بل جعل ربها تحتها سريًا، أي جدول صغير من الماء النقي العذب لتأكل وتشرب وتقر عينها، كما عفاها من مجرد الكلام كي لا تقلق بشأن قومها وتوكل كل أمورها على الله الذي هيأ الأسباب فهو على كل شيء قدير.

يعقبها في سياق الآيات العنصر الإشاري الدال على المفرد الغائب في قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ مريم: ٢٧ يحيل على عيسى -عليه السلام- مسبوقًا بالفاء يؤكد بأنها أتت به قومها بعد الولادة مباشرة، كما جاء في قوله تعالى:﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ مريم:٢٦ وفي ذلك تأكيد بأن يوم ولادتها فرض عليها الصوم عن الكلام فيه؛ ليكون للناس آية.

نخلص إلى أن المتكلم استخدم هذه العناصر الإشارية في استراتيجية تخاطبية لإظهار حقيقة عيسى -عليه السلام-.

رابعًا: الإشاريات الاجتماعية في سورة مريم

من أمثلة ذلك قوله تعالى على لسان زكريا (عليه السلام): ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ مريم: ١٠، حيث تتضمن هذه الآية إشارة اجتماعية بين زكريا وزوجته تظهر حالة زكريا البالغة في الصعوبة وعدم قدرته على الإنجاب فطلب من ربه معجزة تمكنه من التغلب على هذه المعضلة، هكذا يراه زكريا عظيم وهو عند الله يسير وهين.

وقد اتضح ذلك في سياق الآيات برد الله -جل وعلا- على زكريا عندما وصف حالته وحالة زوجته، بقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ مريم: ٩ ويعقبها بحجة بالغة بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾.

وفي هذا رد كافٍ ومقنع، ولكن هكذا هو الإنسان كثير التعجب والاستغراب وإن كان نبيًا؛ ليأتي الرد في سياق الآيات على طلبه من الله آية سريعًا؛ حيث جعل آيته التي طلبها بأن فرض عليه الصوم عن كلام الناس ثلاث ليال سويًا.

يعقبها إشارة إجتماعية بين زكريا وقومه، بقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ مريم: ١١ حيث تظهر سرعة استجابة زكريا -عليه السلام- لما فُرِض عليه من الصوم بمجرد خروجه من المحراب: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾ وفي أوحى إشارة مؤكدة على التزامه بالصوم.

كما يرد الفعل الكلامي "سَبِّحُوا" في سياق التوجيه فيه دعوة لقومه للتسبيح والتكبير ليلًا ونهارًا.

ومن ذلك ظهر تقبُّله لآية الله بزيادة في الإيمان، وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ التوبة: ١٢٤.

كما أن سياق الآيات يظهر العلاقة بين خلق يحيى – عليه السلام – وخلق عيسى بن مريم – عليه السلام – هكذا أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

ومن ثم فإن العنصر الإشاري الاجتماعي جسد الاستراتيجية التضامنية وساعد في فهم الخطاب وبلوغ قصد المتكلم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مريم:٧٣، تأتي الإشارة الاجتماعية في مقام الإخبار تظهر موقف الذين كفروا المسبق من جدلٍ وتكذيب وإعراض عن آيات الله؛ لتؤكد بأن ذلك الموقف يأتي نتيجة إصرارهم على البقاء في حالتهم التي هم عليها من الضلالة، مهما أتتهم من آيات بينات أو ضرب لهم من الأنباء مافيها مزدجر، فبإصرارهم على البقاء في الضلالة يزيدهم الله ضلالًا وبُعدًا عن الصراط المستقيم، أكد ذلك سياق الآيات في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ مريم: ٧٥، يعقبها في سياق الآيات، قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ مريم: ٧٦ مؤكدًا ومبينًا فيها السبيل الوحيد للخروج من الضلالة، وذلك بالسعي وطلب الهداية وسيزيد الله الذين اهتدوا هدى.

أعقب ذلك جملة إخبارية، في قوله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ تحمل حقيقة إخبارية مفادها التذكير والوعظ والتأكيد لكل من شملهم الخطاب، بأن الإيمان بالله والأعمال الصالحة هي الأبقى للإنسان وخير ما يخرج به من الدنيا؛ ليلقى الله ويجزيه بها خير الجزاء.

خامسًا: أسماء الإشارة في سورة مريم

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ مريم: ٥٨،

يحيل العنصر الإشاري " أُولَئِكَ " إحالة قبلية، على الأنبياء الذين ذكروا في سياق الآيات السابقة (إسحاق ويعقوب وموسى وإسماعيل وإدريس) فهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين بمعنى (مَنَّ الله عليهم بتوارثهم سبيل الهداية والصراط المستقيم) من آبائهم الأنبياء منذ عهد آدم عليه السلام حتى موسى عليه السلام.

وقد أتت الإشارة إلى هذا الصراط في سورة الفاتحة؛ لندعو الله في كل صلاة أن يهدينا إليه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: ٦ - ٧.

يعقبها في سياق الآيات الضمير الغائب المتصل "هم" في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ مريم: ٥٩ وهو عنصر إشاري تحدد مرجعه من السياق يحيل على من أتى من بعد هؤلاء الأنبياء من أهل الكتاب من ورثوا التوراة من قوم موسى -عليه السلام- حرَّفوا ما أنزل إليهم من ربهم (التوراة)، وأضاعوا الصلاة وخُصت الصلاة بالذكر كونها عماد الدين فضياعها ضياع الدين كله واتبعوا الشهوات وتوعدهم الله بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾.

يأتي اسم الإشارة ﴿فَأُولَئِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ مريم: ٦٠ استعمل المتكلم العنصر الإشاري "أولئك" يحيل على مرجع مذكور قبله (إحالة قبلية) إشارة لمن تم استثناؤهم ممن تبقى من أهل الكتاب من تاب منهم وعمل صالحًا واتبع الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بدخولهم الجنة.

يعقبها في سياق الآيات اسم الإشارة "تلك" في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ مريم: ٦٣ إشارة فيها تأكيد وتعظيم لما أعده الله وما تحتويه الجنة، يورثها عباده المتقين ومن سار على صراطه المستقيم. ومن ثم ساعد دراسة الخطاب على تحديد وضبط العناصر الإشارية وفهم الخطاب وبلوغ قصد المتكلم.

الخاتمة:

نستطيع الإشارة بإيجاز إلى أهم ما يمكن استخلاصه من محاور البحث في الآتي:

- تضمنت سورة مريم عناصر إشارية متنوعة (إشاريات شخصية، إشاريات مكانية، إشاريات زمانية، إشاريات اجتماعية، أسماء الإشارة).
- عمد المتكلم إلى استخدام هذه العناصر وفق استراتيجية تضامنية لبلوغ قصده وتحقيق هدفه.
- استخدام هذه العناصر لا تِكفي فيها الكفاءة اللغوية بقدر ما تتحكم فيها كفاءة المتكلم التداولية.
- بعض العناصر الإشارية خفية تتركز في بنية الخطاب العميقة وتتجاوز ظاهر اللفظ، مما يتطلب التحليل والتدقيق والتأمل والوقوف على معطيات الخطاب وقرائن الاستدلال، سعيًا لفهم أبعاد الخطاب والوصول إلى مقاصد المتكلم.
- ساعد تحديد الإشاريات في سورة مريم على ترتيب الأحداث وإبراز الجوانب الإعجازية وفهم الخطاب وأخذ العظة والعبرة.
- أدت الإشاريات إلى انسجام النص القرآني وتماسكه وترابطه.
- ساعد ضبط المقام الإشاري في فك شفرات النص من خلال الإحاطة بجوانب العملية التخاطبية.

الهوامش والإحالات:

(1) جميل حمداوي، دراسات ومقالات في التداولية، العربية والترجمة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، العدد (9)، 2012: 10.

(2) الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993: 115: 116

(3) عبدالهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقاربه لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004: 22.

(4) عبدالحكيم سحالية، التداولة امتداد شرعي للسيمائية (السيماء والنص الأدبي)، الملتقى الدولي الخامس للسيماء والنص الأدبي، المركز الجامعي، الطارف، الجزائر، 2008: 421.

(5) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د.ط، 2002: 16، 17.

(6) عبدالهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب (مقاربه لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004: 80.

(7) الأزهر الزناد، نسيج النص: 116.

(8) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 17.

(9) عبدالهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب: 79.

(10) نفسه: 79.

(11) فاطمة الطبال: النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 1993: 68.

(12) عبدالهادي الشهري: إستراتيجيات الخطاب: 81.

(13) جميل حمداوي: المقاربة التداولية في الأدب والنقد: 13:14.

(14) جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2010: 11.

(15) الأزهر الزناد: نسيج النص: 118.

(16) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: 18.

(17) بشير دردار، الكتابة ورهانات الاقناع (مقاربة تداولية)، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب، الجزائر، 2013: 192.

(18) الأزهر الزناد، نسيج النص: 118: 119.

(19) بشير دردار، الكتابة ورهانات الاقناع: 192.

(20) محمد خطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي، بيروت، ط1، 1991: 17.

(21) روبرت دي بوجراند، النص الخطاب والإجراء، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998: 333.

(22) محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط1، 2007: 103.

(23) محمد محمد يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديدة، بيروت، ط1، 2004: 20.

(24) محمد محمد يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: 19.

(25) أحمد عفيفي، نحو النص، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة: 118.

(26) سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005: 100.

(27) عبدالهادي الشهري: إستراتيجيات الخطاب: 82.

(28) كاظم جاسم منصور العزاوي، التعبير الإشاري في (الخصيبي) (مقارنة تداولية)، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، العراق، المجلد (4)، العدد (1)، 2016: 74: 75.

(29) الأزهر الزناد، نسيج النص:30.

(30) سيبويه، الكتاب: 6/2، وينظر: أبو البقاء الموصلي: شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001: 6/2.

(31) المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1979م: 280/4

(32) يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم: 33.

(33) الأزهر الزناد: نسيج النص: 117، وينظر: أبو البقاء الموصلي، شرح المفصل: 294/2.

(34) عبدالهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب: 287: 288.

(35) عبدالهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب: 46.

(36) أبو البقاء الموصلي: شرح المفصل: 292/2: 293.

(37) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 17: 18.

(38) ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: 172.

(39) محمد خطابي، لسانيات النص: 18.

(40) زتسيسلاف واو رزنياك، مدخل إلى علم النص، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003: 95، 96.

(41) ينظر جاك موشلر آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية: 358، 359، النذير ضبعي، الأبعاد التداولية في مقامات الحريري: 25.

(42) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 19.

(43) عبدالهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب: 83.

(44) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ط2، 2002: 220/1.

(45) محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 21.

(46) عبدالهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب: 84.

(47) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 25.

(48) زحاف حبيب، البعد الهواياتي "في رواية الأمير" مقارنة تداولية، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر: 143: 144.

(49) الأزهر الزناد، نسيج النص: 115:116.

(50) سيبويه، الكتاب: 6/2، ينظر: أبو البقاء الموصلي، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001: 363/2، 366

(51) المبرد: المقتضب، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، ط2، 1979م، 186/3.

(52) أبو البقاء الموصلي: شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001: 348/3.

(53) أحمد عفيفي، نحو النص: 118.

(54) عثمان أبو زنيد، نحو النص، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1 /2009: 119، 120.

(55) عليه يبيبة: السياق ودلالته في القصص القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، 2012 / 2013: 122.

(56) أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص: 25.

(57) سعيد بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقات بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005: 143.

(58) جورج يول، التداولية، الدار العربية للعلوم، بيروت، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010: 33.